طوفان الأقصى
في سياق الصراع التاريخي
قراءة مقارنة

الفهرس:

الفصل الأول: المحطات التاريخية للصراع 3

ثورة 1936 – 1939: 3

نكبة عام 1948: 4

العدوان الثلاثي 1956: 5

حرب حزيران 1967 6

حرب أكتوبر / تشرين 1973: 6

غزو لبنان 1982: بداية صعود المقاومة الإسلامية 7

حرب تموز 2006: 8

حرب غزة 2008–2009 (الرصاص المصبوب): 8

حرب غزة 2014 (الجرف الصامد): 9

معركة سيف القدس 2021: 10

الفصل الثاني: مقارنة تحليلية للمحطات التاريخية للصراع 11

جداول المقارنة: 11

ملاحظات تحليلية: 15

الاستنتاجات: 16

طوفان الأقصى كذروة تراكمية لمئة عام من المواجهة 17

الخاتمة: 18

المصادر والمراجع: 19

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مقارنة منهجية تحليلية بين أبرز الحروب والمعارك التي خاضتها فلسطين وبعض الدول العربية في مواجهة الكيان الإسرائيلي، وذلك من خلال جملة من المعايير: الخسائر، الجغرافيا، التأييد الشعبي، السرديات، اندفاع المقاومة، الالتزام القتالي لدى الطرفين، تماسك قوى المقاومة، الإنجازات الإسرائيلية، التسليح، المعنويات، الديموغرافيا، والدعم الدولي. وتسعى الدراسة إلى تحديد أنماط التغير في ميزان القوة والتأييد، وتحليل التحولات في الخطاب والسردية، كما تبيّن الدراسة كيف أن معركة طوفان الأقصى هي ذروة طبيعية لمسار نضالي طويل، وتتويجًا نوعيًا للمقاومة منذ 1936 بناءًا على التراكمات النضالية والعسكرية والتنظيمية بما فيها من خسائر ونجاحات.

المنهجية:

تعتمد الدراسة على منهج التحليل المقارن عبر فترات زمنية مختلفة، مركزة على المعايير التالية:

1. **الخسائر البشرية والمادية للطرفين**
2. **التوزيع الجغرافي للمعارك وتأثيره على سير المعارك ونتائجها**
3. **الموقف العربي الرسمي والشعبي**
4. **حرب السرديات والخطاب الإعلامي**
5. **اندفاع المقاومة وصلابة الصف الداخلي**
6. **مدى التزام الجنود الإسرائيليين بالقتال**
7. **تماسك قوى المقاومة وتحالفاتها**
8. **مدة الحرب والإنجازات المعلنة لإسرائيل**
9. **القدرات العسكرية والتكنولوجية للطرفين**
10. **معنويات المقاتلين**
11. **البنية الديموغرافية وأثرها على مجريات المعركة**
12. **الدعم الدولي والسياسي لإسرائيل مقابل الموقف العالمي من المقاومة**

الحروب والمعارك قيد الدراسة:

- **ثورة 1936 – 1939**
- **نكبة 1948**
- **العدوان الثلاثي 1956**
- **حرب 1967**
- **حرب أكتوبر/تشرين 1973**

- **غزو لبنان 1982**
- **حرب تموز 2006**
- **حرب غزة 2008–2009 (الرصاص المصبوب)**
- **حرب غزة 2014 (الجرف الصامد)**
- **معركة سيف القدس 2021**

الفصل الأول: المحطات التاريخية للصراع

ثورة 1936 – 1939:

تُعد ثورة 1936–1939 أولى الهبّات الوطنية الفلسطينية الكبرى، وقد شكّلت علامة فارقة في مسار الصراع مع المشروع الصهيوني والتحالف الاستعماري البريطاني. أسفرت الثورة عن خسائر بشرية فادحة، حيث استُشهد نحو 5,000 فلسطيني وجُرح عشرات الآلاف، إلى جانب تدمير آلاف المنازل وفرض الغرامات الجماعية على القرى. أما على الطرف البريطاني والصهيوني، فقد قُتل نحو 400 يهودي و200 جندي بريطاني، ما يعكس حجم التضحيات التي قدّمتها الثورة رغم فارق الإمكانيات.

امتدت الثورة جغرافيًا لتشمل معظم أرجاء فلسطين التاريخية، من نابلس وجنين شمالاً إلى الخليل وغزة جنوبًا، وهو ما منحها زخمًا شعبيًا كبيرًا، وجعلها ثورة شاملة ذات طابع وطني جامع. هذا التوزع الواسع أرهق القوات البريطانية، ودفعها إلى تبني سياسة الأرض المحروقة لقمع الثورة.

على صعيد الموقف العربي، عبّرت الشعوب العربية عن تضامن غير مسبوق تمثّل في الإضرابات الواسعة وجمع التبرعات، بينما اتسم الموقف الرسمي بالتذبذب، حيث ضغطت أنظمة عربية –بالتنسيق مع بريطانيا– على القادة الفلسطينيين لإنهاء الإضراب، ما شكّل خذلانًا واضحًا للحراك الشعبي المقاوم.

سردياً، تبلورت خلال الثورة رواية فلسطينية وطنية تُدين الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني كتحالف استعماري يسعى لاقتلاع السكان الأصليين، مقابل خطاب بريطاني-صهيوني يصور الثورة كأعمال "شغب" خارجة عن القانون، ويبرر القمع بحجة "حفظ الأمن".

أظهرت المقاومة الفلسطينية اندفاعاً بطولياً في العمليات المسلحة والكمائن، خاصة في الريف، وبرز قادة ميدانيون مثل عز الدين القسام والشيخ فرحان السعدي. ورغم محدودية التسليح، تميزت الثورة بصلابة الصف القتالي وإرادة المواجهة، إلا أن غياب التنظيم المركزي وضعف التنسيق بين الفصائل أدى لاحقًا إلى إضعافها. في المقابل، لم تكن "الهاغاناه" الصهيونية تملك

بعد جيشًا نظاميًا، لكنها بدأت في بناء بنيتها العسكرية تحت حماية الاحتلال البريطاني، مع التزام تدريبي صارم ودعم تسليحي أوروبي. استمرت الثورة قرابة الثلاث سنوات، ولم تُحقق الحركة الصهيونية خلالها إنجازات عسكرية ميدانية، لكنها استفادت من قمع البريطانيين للثورة ومهدت الطريق لاحقًا لتوسعها العسكري.

من الناحية التكنولوجية، امتلكت بريطانيا تفوقًا هائلًا في الطيران والمدرعات وأدوات القمع، بينما اقتصرت قدرات الثوار على الأسلحة الخفيفة والبدائية. ورغم القمع الشديد، حافظت معنويات المقاتلين الفلسطينيين على صلابتها طوال فترة الثورة، مستندة إلى حاضنة شعبية واسعة، خاصة في الريف.

ديموغرافيًا، شكّل الفلسطينيون حينها أكثر من 70% من سكان البلاد، وهو ما عزز الشعور الوطني وأهمية الدفاع عن الأرض والهوية. بالمقابل، لعب الدعم السياسي البريطاني دورًا جوهريًا في تثبيت الوجود الصهيوني، حيث وفر له الغطاء القانوني والحماية الأمنية، ما جعل الثورة تتصدى لحلف استعماري مزدوج.

نكبة عام 1948:

شكّلت نكبة عام 1948 محطة مفصلية في تاريخ الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي، وأسفرت عن خسائر بشرية جسيمة، حيث استُشهد نحو 15,000 فلسطيني، وتم تهجير أكثر من 750,000 من بيوتهم ومناطقهم قسراً، في واحدة من أكبر عمليات التطهير العرقي في القرن العشرين. في المقابل، بلغت خسائر المشروع الصهيوني قرابة 6,000 قتيل.

على الصعيد الجغرافي، تمكّنت القوات الصهيونية، بدعم دولي مكثف، من السيطرة على ما يقارب 78% من أرض فلسطين التاريخية، بعد تدمير ممنهج طال أكثر من 531 قرية فلسطينية، وتحويل مدن عريقة كحيفا ويافا إلى مراكز ذات أغلبية يهودية.

عربياً، تباينت المواقف: فبينما دخلت جيوش عربية (مصر، الأردن، سوريا، العراق) الحرب تحت مظلة "إنقاذ فلسطين"، اتّسم أداؤها بعدم التنسيق وغياب الرؤية الاستراتيجية، ما أضعف تأثيرها. في المقابل، برزت الحاضنة الشعبية العربية كمصدر تضامن فعّال، تمثّل في الإضرابات والتبرعات واحتضان اللاجئين، رغم محدودية أثرها الميداني.

في حرب السرديات، سعى الفلسطينيون إلى ترسيخ رواية "النكبة" باعتبارها جريمة تطهير عرقي مدعومة دولياً، بينما روّجت إسرائيل لسردية "الاستقلال" بوصفها معجزة عسكرية وولادة "دولة لليهود".

على الأرض، أظهرت المقاومة الشعبية الفلسطينية اندفاعاً لافتاً في معارك مثل القسطل، حيث استُشهد القائد عبد القادر الحسيني، إلا أن غياب القيادة الموحدة وتشرذم الفصائل بين ميليشيات محلية ومبادرات فردية أضعف من فعالية المواجهة. في المقابل، تمتع الجيش الصهيوني بانضباط عسكري مرتفع وتسليح متقدّم، مدعوماً بطائرات مقاتلة ودبابات حديثة وصلت من أوروبا.

استمرت الحرب ما يقارب تسعة أشهر (من ديسمبر 1947 إلى يوليو 1949)، تمكّنت خلالها إسرائيل من إعلان دولتها وتوسيع حدودها بما يتجاوز قرار التقسيم، مستفيدة من تفوق عسكري–تكنولوجي ودعم سياسي شامل، تجسّد في الاعتراف الأمريكي والسوفيتي المتسارع.

ديموغرافياً، خلّفت الحرب كارثة إنسانية، حيث تحولت فلسطين من بلدٍ بأغلبية فلسطينية (نحو 68%) إلى كيان ذي أكثرية يهودية (تقدّر بـ82%) في المناطق المحتلة، بفعل سياسة الطرد والتطهير. أما دولياً، فقد لعب الدعم السياسي والعسكري الغربي دوراً حاسماً في ترجيح كفة الاحتلال وتثبيت كيانه الناشئ.

العدوان الثلاثي 1956:

جاء العدوان الثلاثي على مصر (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل) في خريف 1956 كردّ على قرار الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، لكنه مثّل أيضًا اختبارًا لإمكانيات الكيان الإسرائيلي التوسعية. من حيث الخسائر، تكبّد العرب مئات الشهداء، خصوصًا في سيناء وغزة، بينما كانت خسائر إسرائيل العسكرية محدودة. جغرافيًا، اجتاح الاحتلال الإسرائيلي قطاع غزة وسيناء حتى قناة السويس، مما أحدث صدمة استراتيجية.

كان الموقف العربي الشعبي متضامنًا بقوة مع مصر، وشهد العالم العربي حالة من الغليان، بينما أظهر النظام العربي الرسمي تأييدًا نسبيًا، باستثناء بعض المواقف المتحفظة.

إعلاميًا، صوّرت الرواية الغربية العدوان كـ"استعادة للحقوق الاستعمارية"، في حين رسّخ الخطاب العربي سردية "العدوان الاستعماري الثلاثي" و"الوقوف في وجه الإمبريالية والصهيونية".

لم تكن المقاومة الفلسطينية في هذا السياق فاعلة تنظيميًا بعد، إذ لم تكن قد تشكّلت فصائلها المسلحة المعروفة لاحقًا، لكن سُجلت حالات من الرفض الشعبي والمبادرات الفردية. أما الالتزام الإسرائيلي القتالي فكان عاليًا، مدعومًا بتفوق جوي ومدرعات فرنسية وبريطانية. لم تحقق إسرائيل أهدافًا دائمة من الحرب، إذ أُجبرت على الانسحاب من سيناء وغزة بفعل الضغط الأمريكي–السوفيتي.

من الناحية التكنولوجية، كشفت الحرب عن التفوق العسكري الغربي، مقابل تواضع التجهيزات العربية، إلا أن المعنويات المصرية والعربية ارتفعت، خاصة بعد صمود بورسعيد ومحدودية النتائج الاستراتيجية للعدوان. ديموغرافيًا، بقي الفلسطينيون على هامش الأحداث، لكن الاجتياح الإسرائيلي لغزة مهّد لاحقًا لسلسلة من الجرائم ضد المدنيين. أمّا على الصعيد السياسي، فقد مثّل الدعم الأوروبي لإسرائيل في هذه الحرب أول اختبار علني للشراكة العسكرية بين تل أبيب والغرب.

حرب حزيران 1967

في يونيو 1967، شنّت إسرائيل عدوانًا خاطفًا على ثلاث دول عربية (مصر، سوريا، الأردن)، أسفر عن نكسة شاملة تمثلت في احتلال الضفة الغربية، قطاع غزة، سيناء، والجولان، خلال ستة أيام فقط. الخسائر العربية فاقت 20,000 شهيد، مقابل نحو 800 قتيل إسرائيلي، في واحدة من أكبر الهزائم العسكرية للعرب.

سيطرت إسرائيل على كامل أراضي فلسطين التاريخية، ووسعت نفوذها الإقليمي، مما غيّر ميزان القوى. عربيًا، كان الموقف الشعبي في حالة ذهول واحتقان، بينما أصيبت الأنظمة العربية بصدمة استراتيجية. أما الخطاب الإعلامي، فقد غلبت عليه مشاعر الإحباط في مقابل سردية إسرائيلية احتفالية ركّزت على "الانتصار المعجزة".

لم تكن المقاومة الفلسطينية قد دخلت معترك المواجهة المنظمة بعد، لكن الهزيمة شكّلت دافعًا رئيسيًا لتشكّل الفصائل المسلحة، وعودة شعار "التحرير من خلال الكفاح المسلح". الجيش الإسرائيلي أظهر التزامًا عاليًا مدعومًا بتفوق جوي واستخباراتي.

وفي ظل الإنجازات العسكرية الإسرائيلية، كانت الخسائر الديموغرافية والإنسانية العربية ضخمة، خصوصًا في الضفة وغزة، وشكّل النزوح الجماعي موجة تهجير جديدة. في المقابل، لعب الدعم الأمريكي دورًا رئيسيًا في تثبيت نتائج الحرب وتوفير الغطاء السياسي لإسرائيل في الأمم المتحدة، رغم صدور القرار 242.

حرب أكتوبر / تشرين 1973:

اندلعت حرب أكتوبر 1973 بهجوم مفاجئ شنه الجيشان المصري والسوري على الجبهتين الشرقية والغربية، في محاولة لاستعادة الأراضي المحتلة عام 1967. رغم أن الخسائر البشرية العربية بلغت قرابة 8,500 شهيد، مقابل نحو 2,700 قتيل إسرائيلي، فقد مثّلت الحرب نقطة تحوّل نفسية واستراتيجية في الصراع.

جغرافيًا، نجحت القوات المصرية في عبور قناة السويس، بينما استعاد الجيش السوري أجزاء من الجولان، ما أعاد الروح القتالية العربية وأحدث خللاً في التفوق الإسرائيلي.

الموقف العربي كان موحدًا نسبيًا على المستوى الشعبي، وبلغ ذروته في سلاح النفط الذي وظّفه العرب كوسيلة ضغط عالمي، فيما بقي الخطاب الرسمي العربي متفاوتًا بين الجبهات. السرديات الإعلامية انقسمت بين خطاب عربي يركّز على "العبور" و"كسر الهيبة الإسرائيلية"، وخطاب إسرائيلي يسعى لتقليل حجم المفاجأة.

لم تكن فصائل المقاومة الفلسطينية حاضرة ميدانيًا بشكل واسع، لكن الحرب أسّست لمرحلة لاحقة من تصاعد العمل الفدائي، خصوصًا بعد أن ثبت أن إسرائيل قابلة للهزيمة. أظهرت إسرائيل التزامًا عسكريًا صلبًا، لكن ثقتها اهتزت. تكنولوجيًا، تفوقت إسرائيل بفضل الدعم الأمريكي الطارئ (جسر جوي عسكري)، إلا أن المعنويات العربية تصاعدت، وخاصة في مصر وسوريا.

رغم أن إسرائيل استعادت المبادرة لاحقًا، فإن الروح الجماهيرية العربية تحوّلت، وتراجعت سردية "الجيش الذي لا يُقهر". وأفرزت الحرب تحولًا في التوازن الإقليمي ومهّدت لاتفاقيات لاحقة، لكنها فتحت أيضًا الباب أمام صعود خيار المقاومة الفلسطينية كمسار بديل عن المفاوضات العقيمة.

غزو لبنان 1982: بداية صعود المقاومة الإسلامية

شنّت إسرائيل غزوها الواسع للبنان عام 1982 بذريعة ضرب منظمة التحرير الفلسطينية، ما أسفر عن استشهاد ما يزيد عن 19,000 لبناني وفلسطيني، معظمهم من المدنيين، في مقابل نحو 675 قتيلاً إسرائيليًا.

جغرافيًا، وصلت القوات الإسرائيلية إلى بيروت، وفرضت حصارًا على العاصمة، في سابقة لم تحدث من قبل، لينقسم الموقف الرسمي العربي بين مؤيد للغزو بحجة إنهاء الفوضى، ومعارض له، فيما أبدى الشارع العربي تعاطفًا واسعًا مع المقاومة واللاجئين.

وفي حرب السرديات، استخدمت إسرائيل خطاب "تطهير لبنان من الإرهاب"، بينما رسّخت المقاومة سردية "الاجتياح الاستعماري"، لا سيما بعد مجزرة صبرا وشاتيلا. وقد أظهرت المقاومة التزامًا قتاليًا في بيروت، لكنها كانت مرهقة بعد سنوات من الحرب الأهلية اللبنانية. ومع ذلك، مثّلت هذه الحرب الشرارة الأولى لصعود المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني، خاصة حزب الله، الذي تشكل كقوة رادعة لاحقًا.

تراجعت المعنويات الفلسطينية واللبنانية مؤقتًا بفعل الإبادة والقصف الشامل، لكن من رحم الانسحاب الإسرائيلي التدريجي لاحقًا، ولِد خيار جديد للمقاومة الشعبية، بعيدًا عن المنفى. وقد أدّت هذه الحرب إلى نزوح كثيف من الجنوب وبيروت، وكان الدعم الأمريكي والدولي لإسرائيل مطلقًا فلم تكن الهاغاناه وحدها بل جيش نظامي متكامل، مدعوم بتفوق تكنولوجي ومظلة جوية أمريكية، إلّا أنه فشل في كسر الروح المقاومة.

حرب تموز 2006:

خاضت المقاومة اللبنانية، بقيادة حزب الله، حربًا شرسة في تموز 2006 بعد أسرها لجنديين إسرائيليين. وخلّفت هذه الحرب نحو 1,200 شهيد لبناني، معظمهم من المدنيين، مقابل 121 قتيلاً إسرائيليًا، كما وأدّت إلى تدمير واسع للبنية التحتية اللبنانية.

جغرافيًا، اقتصرت المعركة على الجنوب والبقاع وبعض مناطق بيروت، فيما تعرضت مدن إسرائيلية كبرى كـ"حيفا" للقصف الصاروخي، للمرة الأولى منذ قيام الكيان. وقد انقسم الموقف العربي الرسمي، فبينما ساندت كل من سوريا وإيران وبعض الحكومات المقاومة، كانت دول أخرى تتمنى "هزيمة حزب الله". أما الشعوب، فقد وقفت بكل وضوح مع المقاومة.

في حرب الرواية، فرض حزب الله سرديته بوصفه "مدافعًا عن الكرامة العربية"، مقابل سردية إسرائيلية متمحورة حول "الخطف والإرهاب". أظهرت المقاومة اللبنانية انضباطًا قتاليًا فائقًا وتماسكًا تنظيميًا عسكريًا قلّ نظيره في حروب العرب مع إسرائيل. انهار الجيش الإسرائيلي ميدانيًا في أكثر من محور، رغم تفوقه الجوي والتكنولوجي، ولم تحقق إسرائيل أيًا من أهدافها المعلنة، وعلى رأسها "سحق حزب الله"، بل انتهت الحرب بمكاسب استراتيجية للمقاومة، أهمها فرض معادلة الردع في الشمال.

تكنولوجيًا، كانت المفاجأة هي قدرة المقاومة على ضرب البارجة الإسرائيلية "ساعر 5"، ما أحدث تحوّلاً في العقيدة القتالية الصهيونية. فالمعنويات داخل المقاومة بقيت مرتفعة، فيما انتشرت الصدمة في الجبهة الداخلية الإسرائيلية. ديموغرافيًا، لم يُسجّل تغيير حاسم، ولم يؤدِّ التهجير المؤقت للمدنيين الجنوبيين إلى إضعاف الجبهة. وفيا يخصّ الدعم الدولي، فبقي منحازًا لإسرائيل، لكنه فشل في فرض وقف فوري للحرب لصالحها.

حرب غزة 2008–2009 (الرصاص المصبوب):

شنّت إسرائيل حربًا دموية على قطاع غزة أواخر 2008 استمرت 22 يومًا، وأسفرت عن استشهاد أكثر من 1,400 فلسطيني، غالبيتهم من المدنيين، في مقابل مقتل 13 إسرائيليًا فقط.

وقد تمحورت العمليات جغرافيًا في القطاع المحاصر بالكامل، ما سمح لإسرائيل باستخدام القوة بلا حدود.

عربيًا، خيّم الصمت الرسمي على معظم الأنظمة، في مقابل موجة احتجاجات شعبية غاضبة وداعمة لغزة. وانكشفت السرديات الإعلامية بوضوح، بين خطاب إسرائيلي يروّج لـ"ضرب الإرهاب"، وخطاب مقاوم يؤرشف المجازر بالصوت والصورة. وقد أظهرت الفصائل الفلسطينية، وعلى رأسها حماس، قدرة عالية على الصمود والتكتيك القتالي، رغم الفارق الكبير في التسليح، ما شكّل مفاجأة للمراقبين، ولم تُحقق إسرائيل أي أهداف استراتيجية، بل خرجت من الحرب بفضيحة أخلاقية دولية بسبب المجازر.

ظلّ جيش الاحتلال متفوقًا جويًا وبريًا، إلا أن المقاومة أدخلت سلاح الصواريخ قصيرة المدى بقوة إلى المعركة، وأثبتت قدرتها على التحصين والكمائن، ما رفع من ثقة الجماهير بقدرة غزة على المواجهة، رغم الحصار.

ديموغرافيًا، أدت الحرب إلى تدمير آلاف البيوت، لكنها لم تكسر الحاضنة الشعبية. أما الدعم الدولي، فرغم صمته الرسمي، بدأت نخب عالمية تشكك في سردية إسرائيل، وارتفعت أصوات المقاطعة.

حرب غزة 2014 (الجرف الصامد):

استمرت حرب 2014 على غزة 51 يومًا، وكانت الأطول والأكثر دموية، حيث استشهد أكثر من 2,200 فلسطيني، بينهم 550 طفلًا، في مقابل مقتل 73 إسرائيليًا.

جغرافيًا، بقيت المعركة ضمن غزة، لكن المقاومة نجحت في إطلاق صواريخ طالت تل أبيب، وشنّ عمليات عبر الأنفاق خلف خطوط العدو.

كان الموقف العربي الرسمي مائعًا، فيما ظلّ الشارع العربي داعمًا لغزة. وفي حرب السرديات، استطاعت المقاومة كسب الرأي العام الدولي جزئيًا، لا سيما بعد استهداف المدارس والمستشفيات. وقد تميّزت غرفة العمليات المشتركة بتنسيق ميداني لافت، عكس نضوجًا تنظيميًا وتماسكًا بين فصائل المقاومة. وأظهرت المعركة تراجع الروح القتالية لدى بعض جنود الاحتلال، فيما مثّلت المفاجآت الميدانية (مثل كمين "أبو مطيبق") ضربة مؤلمة للجيش الإسرائيلي.

التفوق التكنولوجي بقي لإسرائيل، لكنه ووجه بتحصينات وصواريخ أبعد مدى وأكثر دقة. وعلى المستوى المعنوي، أظهرت غزة صمودًا استثنائيًا رغم حجم الدمار، فالخسائر كانت جسيمة، لكن الغزيين ثبتوا في مواقعهم، في تحدٍ مباشر لمحاولات التهجير.

انكشفت إسرائيل سياسيًا أمام الرأي العام، خصوصًا بعد تقارير أممية عن جرائم حرب، رغم استمرار الدعم الأمريكي المطلق.

معركة سيف القدس 2021:

في مايو 2021، اندلعت معركة "سيف القدس" إثر اعتداءات الاحتلال على أهالي حي الشيخ جراح والمسجد الأقصى، وتحولت إلى مواجهة شاملة استمرت 11 يومًا. استشهد أكثر من 250 فلسطينيًا، مقابل مقتل 13 إسرائيليًا.

لأول مرة، امتدت المعركة إلى كل فلسطين التاريخية، واندلعت احتجاجات وانتفاضات في القدس والضفة والداخل المحتل، ما عكس وحدة جغرافية غير مسبوقة في المواجهة. عربياً، كانت الشعوب في حالة غليان تضامني، فيما ظهر تردد رسمي.

وقد فرضت المقاومة سردية جديدة: القدس خط أحمر، وربطت حماية المقدسات بالرد العسكري. في المقابل، عجزت إسرائيل عن تقديم رواية متماسكة، رغم تصعيدها الإعلامي. أظهرت غرفة العمليات المشتركة تماسكًا لافتًا، ونجحت في إطلاق آلاف الصواريخ، منها ما طال "تل أبيب" و"مطار بن غوريون"، فعلى الرغم من الحصار، إلّا أن المقاومة فاجأت الاحتلال بمدى قدراتها، ما أثار ارتباكًا استراتيجيًا لدى القيادة العسكرية الإسرائيلية.

المعنويات الفلسطينية وصلت ذروتها، حيث خرجت الجماهير في النقب واللد والرملة ومناطق أخرى، ما هزّ النظرية الأمنية الصهيونية، مع تعزّز الهوية الفلسطينية الجامعة. أما دوليًا، فشهدت القضية الفلسطينية تعاطفًا غير مسبوق على مستوى الرأي العام والنخب الغربية.

جداول المقارنة:

جدول تحليلي يقارن بين الحروب والمعارك الفلسطينية-الإسرائيلية وفق مؤشرات النجاح والتحديات، مصنفًا إلى إيجابي (يعزز قوة المقاومة) وسلبي (يشكل ضغطًا وتحديًا)، ومرتبًا بحسب معيار "نجاح المقاومة":

الحرب/المعركة	الخسائر البشرية والمادية	التوزع الجغرافي	الموقف العربي	السردية	اندفاع المقاومة	التزام العدو بالقتال	تماسك المقاومة	الإنجازات	القدرات العسكرية	معنويات المقاتلين	الوضع الديموغرافي	الدعم الدولي
ثورة 1936–1939	5000 شهيد	الضفة وغزة	دعم شعبي، تقاعس رسمي	ثورة وطنية	عصيان شامل	عالي، بدعم بريطاني	تشتت	قمع شامل خلال 3 سنوات	أسلحة خفيفة	مرتفعة	أغلبية فلسطينية	استعمار بريطاني مباشر
نكبة 1948	15,000شهيد، 750 ألف لاجئ	78% من فلسطين احتلت	تدخل جيوش بلا تنسيق	نكبة وتطهير عرقي	مقاومة محلية ضعيفة	منظم ودعم غربي	عمليات منفردة	إعلان إسرائيل	دبابات وطائرات عربية	صمود رغم التهجير	قلب ديموغرافي لصالح اليهود	اعتراف دولي سريع
العدوان الثلاثي 1956	آلاف الشهداء	غزة وسيناء	دعم مصري ، محدود عربيًا	عدوان ثلاثي	غياب المقاومة الفلسطينية	تفوق إسرائيلي	غياب التنسيق	انسحاب سياسي بعد ضغط	تفوق غربي	إصرار مصري	تهجير جزئي	دعم فرنسي-بريطاني

حرب 1967	25 ألف شهيد	القدس والضفة والجولان	صدمة رسمية وشعبية	بداية المقاومة الحديثة	ناشئة	تكتيك متفوق	بدايات وحدات فدائية	احتلال شامل	سلاح جو متفوق	إرادة مقاومة	احتلال القدس	دعم أمريكي كامل
حرب أكتوبر 1973	8500 شهيد عربي، 2700 إسرائيلي	الجولان وسيناء	تنسيق عربي	نصر جزئي	مرتفع	صدمة إسرائيلية	تنسيق محدود	استرداد جزئي للأرض	مضادات وصواريخ	معنويات قتالية عالية	عودة جزئية	رأي عالمي متعاطف
غزو لبنان 1982	19 ألف شهيد	بيروت والجنوب	دعم سوري-إيراني شعبي	مقاومة لبنانية	تصاعدي	عدوان دموي	نواة حزب الله	إخراج منظمة التحرير	سلاح أمريكي متفوق	تصاعد عقائدي	تهجير لبناني داخلي	دعم أمريكي مباشر
حرب تموز 2006	1200 شهيد، 121 إسرائيلي	الجنوب اللبناني وضاحية بيروت	تضامن شعبي، تحفظات رسمية	كسر هيبة إسرائيل	قوي	تراجع إسرائيلي	تنسيق عالي	فشل إسرائيل في الحسم	صواريخ دقيقة	معنويات مرتفعة	تهجير داخلي	انتقادات غربية
حرب غزة 2008–2009	1400 شهيد	غزة المحاصرة	تنديد شعبي	صمود مقابل مجازر	مرتفع	قصف متواصل	غرفة عمليات	دمار بلا حسم	صواريخ فصائلية	صمود أسطوري	حصار خانق	إدانة محدودة
حرب غزة 2014	2200 شهيد، 73 إسرائيلي	غزة	صمت رسمي، غضب شعبي	فشل أهداف الاحتلال	منظم	دمار شامل	تنسيق فصائلي	فشل سياسي إسرائيلي	طائرات واستطلاع	إصرار مقاوم	دمار واسع	تقارير أممية ضد إسرائيل

سيف القدس 2021	250 شهيد، 13 إسرائيلي	غزة، القدس، الداخل	تفاعل شعبي واسع	وحدة الساحات	أعلى اندفاع وتكامل	ارتباك إسرائيلي	تنسيق غير مسبوق	ردع نسبي خلال 11 يوم	طائرات مسيّرة، صواريخ	وحدة وتحفّز	تفاعل شعبي واسع	تعاطف عالمي

المؤشرات السلبية (تحديات وضغط على المقاومة)

الترتيب	المؤشر	التحليل الاستراتيجي
1	الخسائر البشرية والمادية	نزيف دائم من الأرواح والبنى التحتية، خصوصًا في غزة ولبنان، دون ردع دولي فعّال.
2	الدعم الدولي والسياسي لإسرائيل	حاسم في ترجيح كفة الاحتلال في المحافل الدولية، وخصوصًا الدعم الأمريكي في التسليح والغطاء السياسي.
3	القدرات العسكرية الإسرائيلية	تفوق تكنولوجي طويل الأمد، مع استغلال التكنولوجيا للتجسس والاغتيالات وفرض الحصار.
4	التزام الجيش الإسرائيلي بالقتال	رغم التراجع النسبي مؤخرًا، إلا أنه يظل مؤسسيًا ومدعومًا بعقيدة عسكرية وتفوق تقني.
5	الموقف العربي الرسمي	بالغ الضعف، ويتراوح بين التخاذل والصمت، مما يترك المقاومة في مواجهة شبه منفردة.
6	إنجازات الاحتلال	بعضها استراتيجي كالتهجير الديموغرافي بعد النكبة.
7	الخطط الديموغرافية الإسرائيلية	التهجير والاستيطان يؤديان لتآكل الأرضية الجغرافية والديموغرافية للمقاومة.

المؤشرات الإيجابية (تعزز قوة المقاومة)

الترتيب	المؤشر	التحليل الاستراتيجي

1	اندفاع المقاومة	شكل هذا العامل قلب المعارك في عدة جولات، لا سيما في معركة "سيف القدس" حيث حققت المقاومة تكاملًا لافتًا ووحدة موقف رغم تباينات الفصائل.
2	تماسك قوى المقاومة	أصبح أكثر وضوحًا بعد عام 2006، خصوصًا في غزة ولبنان، حيث تنسّقت الفصائل عبر غرف عمليات موحدة وعمليات منسقة.
3	معنويات المقاتلين	ارتفعت رغم الحصار والدمار، ويُعتبر هذا المؤشر عنصرًا نفسيًا حاسمًا في استمرارية المقاومة.
4	السرديات والخطاب الإعلامي	الانتقال من خطاب "النكبة" إلى "التحرير والدفاع عن القدس" غيّر المزاج العربي والدولي لصالح المقاومة.
5	التوزع الجغرافي وتأثيره	توسع العمل المقاوم إلى جبهات متعددة (الضفة، غزة، القدس، الداخل المحتل) أعطى بعدًا استراتيجيًا للمواجهة.
6	القدرات العسكرية والتكنولوجية للمقاومة	تطوّر واضح في نوعية الصواريخ، أنفاق المقاومة، استخدام المسيّرات، وتكتيك الحرب النفسية.
7	الموقف العربي الشعبي	رغم التراجع الرسمي، إلا أن التأييد الشعبي بقي متماسكًا، ويشكل عمقًا استراتيجيًا للمقاومة في الإعلام والميدان.
8	الوضع الديموغرافي	استمرار المقاومة في مناطق الكثافة السكانية الفلسطينية، وظهور حراك شعبي في الداخل المحتل.

ملاحظات تحليلية:

1. **تحوّل المقاومة من حالة رد فعل إلى مشروع متكامل**

- في بدايات النكبة وثورة 1936، كانت المقاومة تعبيرًا عن غضب شعبي عفوي، أما بعد عام 2006 فقد **أصبحت مشروعًا استراتيجيًا متكاملًا** يقوده فاعلون سياسيون وعسكريون لديهم رؤى بعيدة المدى.
- **التحوّل من العمليات المنفردة إلى التماسك العملياتي** (غرفة العمليات المشتركة) هو تحول جوهري قلب قواعد الاشتباك.

2. **الإرادة كعامل تفوق نوعي رغم اختلال ميزان القوى**

- **لم تعد الكفة تُقاس فقط بقدرة التدمير، بل بقدرة الصمود**. فالاحتلال، رغم تفوقه العسكري، يفتقد لإرادة الاستمرار في الحروب الطويلة، بينما تُظهر المقاومة معنويات واستعدادًا نفسياً وتعبوياً متصاعدًا.
- هذا الفارق أدى إلى فشل الاحتلال في الحسم رغم كثافة النيران والتكنولوجيا المتقدمة.

3. **وحدة الساحات: استراتيجية الجغرافيا الموحّدة**

- معركة سيف القدس كشفت تطورًا خطيرًا على العدو: المقاومة لم تعد محصورة في غزة، بل امتدت إلى القدس والضفة والداخل المحتل.
- هذا يضع الاحتلال في مواجهة "مقاومة ثلاثية الأبعاد": مدن محتلة، حدود محاصرة، وشعب في كل زاوية.

4. **الاحتلال في أزمة سردية وإعلامية عالمية**

- كلما ازداد قصفه، تراجعت شرعيته. في 1948 **كان يروّج لـ"حرب الاستقلال"، واليوم يواجه تهم الإبادة والتطهير العرقي.**
- تحوّل كبير في الرأي العام العالمي، وخصوصًا الشباب في الغرب، نتيجة تفاعلهم مع الإعلام المقاوم ووسائل التواصل الاجتماعي.

5. **تآكل الردع الإسرائيلي**

- حرب تموز 2006 ثم معركة سيف القدس 2021 شكّلتا منعطفين في نظرية الردع التي يتبناها الاحتلال.
- **لم تعد حروبه قادرة على فرض الاستسلام، بل أصبحت كل جولة تزيد من شرعية المقاومة وتجذرها.**

6. **تحول نوعي في القدرات العسكرية للمقاومة**

- الانتقال من قنابل المولوتوف (1987) إلى الصواريخ بعيدة المدى والطائرات المسيّرة (2021) يمثل نقلة نوعية في تكافؤ الوسائل.
- هذا التطور فرض معادلات ردع متبادلة وحال دون شن حروب برية شاملة. بل محدودة من دون القدرة على الحسم.

7. **الهشاشة الاستراتيجية للعدو من الداخل**

- تصدعات سياسية (أزمات حكومية متكررة) + انقسام اجتماعي (علمانيون ومتدينون) + تراجع ثقة الجمهور في الجيش = بيئة داخلية هشة.
- هذا يُضعف قدرة الاحتلال على الدخول في حروب طويلة ويعزز استراتيجية "النفس الطويل" للمقاومة.

8. **الدعم الشعبي العربي كقوة ناعمة حقيقية**

- رغم التطبيع الرسمي، إلا أن الشعوب العربية والإسلامية ما زالت تُعبّر عن انحياز واضح للمقاومة، في الإعلام، في الشوارع، في الجامعات.
- هذا يشكّل مخزونًا تعبويًا إستراتيجيًا للمقاومة.

9. **الزمن كحليف للمقاومة**

- **الكيان الصهيوني كيان استيطاني مؤقت بطبيعته، بينما المقاومة تنتمي إلى شعب أصيل متجذر يمتلك الإرادة والحق والتاريخ والديموغرافيا.**
- الزمن يعمل لصالح الطرف الذي يرفض الاستسلام **ويبني مشروعه بتراكم الصمود**، وهو ما تحققه المقاومة بأطراد.

10. **القدس: قلب المعركة ومفتاح التحوّل**

- كلما تم المس بالقدس، توحّدت الجبهات، وتفاعلت الساحات، واهتزت "المنظومة الأمنية" الإسرائيلية.
- هذا يجعل من القدس مفتاح الاشتباك الشامل، وأحد أهم أوراق الضغط الشعبية والرمزية والاستراتيجية.

الاستنتاجات:

- المقاومة تطورت من مرحلة الدفاع الغريزي إلى مشروع نضالي استراتيجي، يتمتع بتماسك تنظيمي، وتكامل ميداني، ورؤية سياسية–عسكرية طويلة المدى، خصوصًا منذ مطلع الألفية الثالثة.
- رغم التفوق العسكري الإسرائيلي التقليدي، إلا أن الاحتلال فشل في تحقيق حسم نهائي في أي معركة رئيسية منذ 2006، ما يعكس تآكل ردعه وفعالية الاستراتيجية الدفاعية والهجومية للمقاومة.
- الخسائر البشرية والمادية الكبيرة التي تكبدها الفلسطينيون عبر العقود لم تُضعف إرادتهم، بل شكّلت وقودًا لصمود طويل الأمد، رسّخ الوعي الجمعي بالحقوق التاريخية والثوابت الوطنية.

- الموقف العربي الرسمي بقي في الغالب دون مستوى الحدث، وتفاوت بين التدخل المحدود، والصمت، والتطبيع، لكن الشعوب العربية بقيت عمقًا استراتيجيًا حيًّا للمقاومة، عبّرت عنه في انتفاضات الشارع وموجات التأييد الإعلامي والميداني.
- السردية الفلسطينية استعادت قوتها تدريجيًا، من خطاب النكبة والتشريد، إلى خطاب النضال والتحرير، مدعومة بوسائل إعلام مقاومة، وحراك رقمي عالمي بات يؤثر في الرأي العام الدولي.
- الدعم الدولي لإسرائيل، خاصة من الغرب، ظلّ ثابتًا سياسيًا وعسكريًا، لكنه بدأ يتعرض لتآكل شعبي وأخلاقي، لا سيما مع بروز جرائم الاحتلال وتوثيقها، وهو ما يُنذر بتحولات مستقبلية في ميزان التأييد العالمي.
- التوزع الجغرافي للمواجهة تطور إلى نمط جديد من الحرب الشاملة متعددة الجبهات، كما في معركة سيف القدس، مما يجعل من أي صراع قادم أكثر تعقيدًا للاحتلال، وأكثر قدرة على خنقه استراتيجيًا من الداخل والخارج كما حصل في حرب طوفان الأقصى حتى اليوم.
- الوضع الديموغرافي ما زال يشكل تحديًا خطيرًا للاحتلال، حيث تزداد الكثافة السكانية الفلسطينية في المناطق المحتلة، في مقابل تراجع الثقة والانتماء داخل المجتمع الصهيوني، ما يزيد هشاشته البنيوية.

طوفان الأقصى كذروة تراكمية لمئة عام من المواجهة

تُشكّل معركة "طوفان الأقصى" تتويجًا نوعيًا لمسار المقاومة الفلسطينية الممتد منذ ثورة 1936، وما تلاها من حروب ومواجهات ضد المشروع الصهيوني، وهي ليست حدثًا منفصلًا، بل حلقة مفصلية في سلسلة من التراكمات النضالية والعسكرية والتنظيمية، تم فيها تجاوز حدود الدفاع إلى مرحلة المبادرة الاستراتيجية والهجوم المباغت.

لقد كشفت التجربة التاريخية أن الاحتلال الإسرائيلي يعتمد على التفوق العسكري، والدعم الدولي، وتشتت الموقف العربي، واختراق الجغرافيا الفلسطينية، إلا أن معركة "طوفان الأقصى" فاجأت المنظومة الصهيونية بتفوق نوعي للمقاومة في عدة أبعاد:

1. تحول في ميزان المبادرة:

على مدار الحروب الماضية، كانت المقاومة تُقاتل في إطار رد الفعل (كما في الرصاص المصبوب، والجرف الصامد، وسيف القدس)، أما في طوفان الأقصى، فقد انتقلت المقاومة إلى الهجوم المركّز داخل العمق الإسرائيلي، ما كسر عقيدة الردع الإسرائيلية وأربك عقيدتها الأمنية.

2. استثمار السردية المتراكمة:

استفادت المقاومة من سرديات النكبة، والتهجير، والمجازر المتكررة، لتُبرر أخلاقيًا وإنسانيًا مشروعها القتالي، وتُعيد تدويل القضية بزخم غير مسبوق، في لحظة بدا فيها أن إسرائيل كانت تطبع مع العرب وتغلق ملف فلسطين.

3. تراكم الخبرة والجاهزية:

كل معركة سابقة من غزة أو لبنان – من الرصاص المصبوب إلى الجرف الصامد، إلى سيف القدس – كانت بمثابة مختبر ميداني للمناورة، وتطوير أدوات الاشتباك، وصولًا إلى التخطيط المعقّد والتنفيذ الاحترافي في طوفان الأقصى.

4. فشل الرد الإسرائيلي الاستراتيجي:

رغم القصف الهائل، والعقوبات الجماعية، والدعم الغربي، لم تنجح إسرائيل في تحقيق أي أهداف استراتيجية واضحة، وبدت في حالة إرباك سياسي وعسكري ونفسي داخلي.

5. ارتداد المشروع الصهيوني إلى داخله:

أظهرت طوفان الأقصى هشاشة المجتمع الإسرائيلي، وانقساماته، وتآكل ثقته بالمؤسسة الأمنية، وفي طوفان الأقصى بلغ ذروته في فقدان السيطرة داخل المستوطنات والحدود.

6. عودة فلسطين إلى مركز الأحداث:

كما أعادت "النكبة" تشكيل الجغرافيا، أعادت طوفان الأقصى تشكيل الوعي الدولي حول القضية الفلسطينية، وأحيت ملامح الانتفاضات الشعبية في الداخل والخارج، ونسفت وهم نهاية الصراع أو احتوائه.

الخاتمة:

تُظهر المقارنة التاريخية والاستراتيجية للحروب والمعارك الفلسطينية–الإسرائيلية أن المقاومة لم تكن مجرد ردّ فعل ظرفي، بل مسارًا تحرريًا طويل النفس، يتعزز عبر الوعي الشعبي، وتطور الوسائل، وتماسك الصف، وتكامل الجبهات.

ورغم اختلال ميزان القوى المادي، فإن عوامل القوة غير التقليدية – كالروح المعنوية، والسردية الأخلاقية، والارتباط بالأرض، ووحدة الهدف – أثبتت أنها قادرة على شلّ إرادة العدو، وكسر هيبته، وتقويض رهاناته على الزمن والتطبيع.

إن المعركة ما زالت مفتوحة، والمرحلة القادمة – بكل تحدياتها – تُبشّر بمزيد من التحولات الكيفية في أداء المقاومة ومكانتها الإقليمية والدولية، بينما يدخل المشروع الصهيوني في أزمة وجود تتجاوز الجانب العسكري إلى العمق السياسي والاجتماعي.

معركة طوفان الأقصى هي ذروة طبيعية لمسار نضالي طويل، راكمت فيه المقاومة قدراتها من خلال الخبرة التاريخية، والاستفادة من إخفاقات الماضي، والتعلم من المعارك المتعاقبة. لقد أعادت تعريف موازين الاشتباك، وفجّرت البنية النفسية والأمنية للمجتمع الإسرائيلي، ورسّخت معادلة جديدة: لا أمن للاحتلال في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من الإنجازات التكتيكية التي حققها الكيان الصهيوني في معركة طوفان الأقصى إلا أنه استنزف قدرته الكلية، مقابل بقاء المقاومة الفلسطينية صامدة تحارب رغم كل الخسائر والحصار.

المصادر والمراجع:

العربية:

قراءة في معركة سيف القدس ودلالاتها الاستراتيجية، محسن صالح، مركز الزيتونة

من المقاومة الشعبية إلى المقاومة العسكرية: تحولات الكفاح الفلسطيني، طارق الزبيدي، مركز رؤية للتنمية السياسية

حرب غزة 2014: قراءة استراتيجية في نتائج الحرب، مجموعة باحثين، مركز دراسات الشرق الأوسط

غزة في مواجهة الحرب: من "الرصاص المصبوب" إلى "سيف القدس"، وائل بن جلون، العربي الجديد

السردية الفلسطينية في مواجهة الرواية الصهيونية، عبد السلام المقدسي، مجلة الدراسات الفلسطينية

الإسرائيلية:

Israel's Dilemma in Gaza: No Easy Victories, Amos Harel, Haaretz

How Hamas Outmaneuvered Israel in 2021, Foreign Policy

الغربية:

The Collapse of Israeli Deterrence, Tareq Baconi, The New York Review of Books

Gaza and the New Dynamics of Resistance, Middle East Eye

How Social Media Changed the Narrative on Palestine, The Guardian